

ثنائية الإنسان والآلة في الرواية العربية — أمومة لم تكتمل لمصطفى لغتيري أنموذجا-

The Human-Machine Dichotomy in Arabic Literature: The Case of "Incomplete Maternity" by Mustafa Laghtiri

بودربالة يسمين^{1*}، وهيبه جراح²

¹المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف /ميلة، y.bouderbala@centre-univ-mila.dz

مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي

²المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف /ميلة، w.djerrah@centre-univ-mila.dz

مخبر تحليل الخطاب

النشر: 2024/12/15

القبول: 2024/11/25

الإرسال: 2024/09/16

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على واقع الذكاء الاصطناعي وعلاقته بالقدرات البشرية على اعتبار أن له تأثير كبير على مفهوم الإنسان اليوم؛ بطرح مختلف المواقف التي حكمت هذه التغيرات، أولها إعلان تبني فلسفة ما بعد الإنسان التي اعتبرت فيها " الآلة " أبرز عناصرها، خاصة وهي التي اكتسحت ميادين كان الإنسان يعتقد أن لا منافس له فيها. والأدب عبر عن هذه المخاوف بطرح ثنائية الإنسان/الآلة نسقا ملاصقا للخطابات الأدبية مع هذه الثورة التكنولوجية تعبيرا عن واقع جديد، وذلك بارز في رواية " أمومة لم تكتمل " لكتبتها " مصطفى لغتيري " الذي عرض حالة الصدام والصراع والتفاعل التي تحكم علاقة الإنسان بالآلة ضمن تراجيديا ساخرة للواقع العربي، ثم عن تهكم واضح للانغماس الإنساني وهذه التقنيات التكنولوجية حد الهوس.

*المؤلف المرسِل.

الكلمات المفتاحية: إنسان ؛ آلة ؛ ذكاء اصطناعي ؛ ما بعد الإنسان ؛ أدب الروبوت.

Abstract:

The study aims to shed light on the current state of artificial intelligence and its relationship with human capabilities, considering its significant impact on the concept of humanity today. It examines various perspectives that have influenced these changes, starting with the adoption of the post-human philosophy, which regards the "machine" as a central element, especially as it has permeated fields previously thought to be uncontested by humans. Literature has reflected these concerns by presenting the human/machine dichotomy in alignment with literary discourses on this technological revolution, portraying a new reality. This is prominently illustrated in the novel "Incomplete Maternity" by Mustafa Laghtiri, which depicts the clash, conflict, and interaction governing the relationship between humans and machines within a satirical tragedy of the Arab context, revealing a clear satire of human immersion in technological advances to the point of obsession.

Key words: Human; Machine; Artificial Intelligence (AI) ; Post-Humanism; Robotics Literature.

1..مقدمة:

تعد اليوم الثورة التكنولوجية المعلوماتية خاصة أحد أبرز الثورات التي عرفها العقل البشري على مر العصور ؛ هذه الثورة التي غيرت مجرى التوقعات وكذا التصورات حول العالم وقضاياها المختلفة ، فقد بات من الصعب التنبؤ بمستقبل الواقع الإنساني ، وذلك راجع أساسا للتطور السريع الذي أضحى يعيشه هذا الأخير ولعل مقولة " العالم قرية صغيرة " كانت البداية الفعلية لتسلك سلم هذا التطور وأولى عتباته ، قبل الارتقاء نحو مفاهيم أخرى من بينها " الذكاء الاصطناعي " الذي سيطر على مختلف القطاعات الحياتية ، وأثر بها فالآلة صارت موجودا محاكيا للإنسان ، في سلوكه وتصرفاته حتى أصبحت تحديا له ، وأبرز عقبة تواجهه في القرن الواحد والعشرين. إذن الذكاء الاصطناعي ميدانا معرفيا جمع بين الآلة والإنسان ثارة

لأهداف نفعية ، ومرات لأغراض تعويضية ، فالواقع أثبت سيطرة الآلة على مجالات معينة ما أدى إلى تعطيل الأنشطة البشرية القديمة.

ولأن الأدب أحد أشكال التعبير الإنساني ، بالضرورة سينعكس هذا التطور المعلوماتي على الخطابات الإبداعية ، بالتالي ظهرت الثنائية (الإنسان / الآلة) نسقا محوري الحضور في مختلف الأعمال الأدبية الغربية والعربية على حد سواء ، عنيت بالبحث في علاقة الإنسان بالآلة في ظل المخاوف والتحديات التي برزت ، و رواية (أمومة لم تكتمل) عينة للدراسة على الرغم من خفوت هذا اللون الأدبي نسبيا في العالم العربي ؛ أعمال تحيل إلى تأثير الذكاء الاصطناعي على الواقع تكاد تعد على الأصابع.

بناء على هذا الطرح جاءت إشكالية المقال متمحورة أساسا حول خصوصيات البعد العلائقي الذي جمع بين الإنسان والآلة ثنائية في رواية "مصطفى لغتيري" (أمومة لم تكتمل) لاسيما وأن الطابع الذي يربطهما مثير للجدل بالفعل ، ما خلق تساؤلات فرعية تكشف عن مجموعة من الفرضيات ، نلخصها كالتالي: كيف تجلت ثنائية الإنسان والآلة في رواية (أمومة لم تكتمل)؟ وما هي أبرز الأنساق التي تفرعت عن هذه الثنائية الطارئة على الخطاب الأدبي العربي ؟ وهل للأدب القدرة على التأثير في الواقع وتغييره ، بالتالي الحث على إعادة النظر في هذه العلائقية الثنائية في ظل التباين الحاصل ؟ هل يفتح الذكاء الاصطناعي فرصا وآفاقا لتحسين شروط الوجود الإنساني ؟ أم أننا نتجه نحو عالم من الآلات لا مكان فيه للإنسان ؟

بما أن النسق أحد مخرجات النقد الثقافي لا بد من الاعتماد على آلياته مقارنة منهجية تقوم عليها الدراسة ، كل ذلك قصد بلوغ الهدف المرجو ؛ المتمثل تحديدا في العمل على نقل " أدب الروبوت " من المهملش الأدبي نحو المركز على اعتبار أنه يعالج ويحاكي قضايا الواقع التكنولوجي المعلوماتي الأكثر حضورا في الوقت الراهن ؛ ببيان الدور الذي لعبه الكاتب "مصطفى لغتيري" لتحقيق ذلك ، خاصة وأن ثنائية الإنسان والآلة النسق المحور في عمله الروائي.

وعليه ؛ كان الغرض من الدراسة البحث عن التظاهرات النسقية التي تحكم علاقة الإنسان بالآلة في رواية " أمومة لم تكتمل " من خلال تقسيم المقال إلى ثلاث محاور أساسية ؛ الأول: بحث في الذكاء الاصطناعي ؛ بتسليط الضوء على مشروع ما بعد الإنسان ، والثاني: تنقيب في تيمة " الآلة " في الخطاب الأدبي العربي ، أما الثالث: بحث في ثنائية الإنسان والآلة في الرواية ؛ بكشف الأنساق المنبثقة عنها.

2. الذكاء الاصطناعي ومشروع ما بعد الإنسان:

رغب الإنسان دائما في محاكاة العقل البشري بنمط تفكيره؛ فعكف على البحث والتنقيب قصد بلوغ الغاية، التي ترجمت أخيرا خلال هذه السنوات الأخيرة وتحديدًا سنوات الألفية بداية من عام 2015 إلى واقع يشهد بظهور الذكاء الاصطناعي وبرمجياته المختلفة، إذ لا نختلف في حضوره عن طريق ما يعرف بالخيال العلمي أدبا أو إنتاجا سينمائيا، تارة سلط الضوء على فوائده المحتملة على البشرية، وتارة أخرى صورته على أنه العدو الشرس للإنسان بعرض الجوانب السلبية المتوقعة منه. وقبل الخوض في تأثيره على فكر ما بعد الحداثة لا بد وفك شفرات المصطلح الذي بات دالًا شائعًا متداولًا على الألسن، بالتالي نطرح التساؤل: ما هو الذكاء الاصطناعي؟

عند تفكيك المصطلح واجهة أولى لمعرفة مدلوله نجد أنه «يتكون من كلمتين: الأولى اصطناعي (Artificial) وتشير إلى شيء مصنوع أو غير طبيعي، الثانية ذكاء (Intelligence) ويعني القدرة على الفهم والتفكير»¹. بالتالي يشير إلى نظام علمي يشتمل على طرق التصنيع والهندسة لما يسمى بالأجهزة والبرامج الذكية، والهدف منه هو إنتاج آلات مستقلة قادرة على أداء المهام المعقدة باستخدام عمليات انعكاسية مماثلة لتلك التي لدى البشر، ويعد "جون مكارثي" — أحد رواد منظمة العفو الدولية- أول من حدد مصطلح الذكاء الاصطناعي عام 1955 حين أقر أن الهدف من الذكاء الاصطناعي هو تطوير آلات تتصرف وكأنها ذكية². وهو ما نراه في الوقت الراهن من انتشار غير مسبوق لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي بعد تزايد الطلب والحاجة إليه، رافقه الحديث عن نهاية الإنسان بعد ثبوت أهمية "الآلة" للوجود البشري نفسه، بالتالي: نقف أمام "ما بعد الإنسان".

ولعلنا نتساءل عن صحة البحث في "ما بعد الإنسان"، متى تجاوزنا الإنسان؟ هل أدركنا بالفعل مفهوم الإنسان، حتى يحق لنا تجاوزه بحثًا عن ما بعده؟ ثم حسب هذا التحديد الزمني أين هو "المقبل"؟ ما الخط الفاصل بين الحدين؟ أسئلة من الصعب الاتفاق على إجابات محددة لها، إلا أننا نرجح ما نطلق عليه "الهوية الكلاسيكية" للإنسان بمختلف أبعادها بيولوجيا، تاريخيا، حضاريا وثقافيا كذلك نقطة الفصل؛ هدم هذه الهوية هو العتبة الأولى التي انطلق منها نحو ما بعد الإنسان. وللإجابة عن هذه الإشكالات ننطلق من الفرضية التي وضعها "فريدريك نيتشه" عام 1883 حين قال في مقدمة كتابه (هكذا تكلم زرادشت): «الإنسان شيء لا بد من تجاوزه. فما الذي فعلتم كي تتجاوزوه؟»³ سؤال فلسفي إذا تمعنا خباياه نجد أنه انطلاقًا من مفهوم الإنسان وبداية البحث عن بدائل تحل محله

لأن هذا الأخير لم يعد يتناسب والفكر النيتشوي ، لاسيما أنه قد أتى بالخيار الذي رآه مناسباً "الإنسان الأعلى" وإن اختلف الباحثون حول الترجمة الدقيقة للمصطلح الألماني الذي اعتمده الفيلسوف (Übermensch) لأن التفكيك الأولي للمصطلح يشير إلى التالي (Uber) وتعني ما فوق ، (mensch) تحيل إلى الإنسان ، إذن (ما فوق الإنسان) أي نقف أمام كيان مختلف متجاوز الإنسان إلى مرتبة أعلى منه. والذكاء الاصطناعي فيما بعد حاول تحقيق هذا.

عليه ؛ نجد أن التكنولوجيا المتقدمة هي التي ساهمت في بناء مشروع ما بعد الإنسان لأنها انعكست على وعيه ، لاسيما أنها طرحت أسئلة فلسفية حول مستقبل البشرية في ظل التفوق المذهل للذكاء الاصطناعي على القدرات الإنسانية العقلية ، كالحديث عن الاستنساخ ، التعديل غير المسبوق في الجينات الوراثية ... في سبيل البحث عن الخلود البشري — إن شئنا القول — أو على النقيض من ذلك ؛ التخوف من قضاء العنصر الآلي على العنصر البشري وفي هذا تهديد لوجوده ، وفي هذا الشأن يقول الكاتب وعالم الحاسوب الأمريكي "فيرنور فينج" (vernorvinge) في كتابه "التفرد التكنولوجي" الصادر عام 1993 « في غضون ثلاثين عاماً، سوف نمتلك التكنولوجيات الضرورية لخلق ذكاءات بشرية خارقة. بعد هذا الحادث بوقت قريب جداً، سيكون العصر الإنساني قد انتهى »⁴ فالجميع اتفق على اعتبار الثورة التكنولوجية التي حتمت ظهور الذكاء الاصطناعي ومن ثم انتشاره وسيطرته قد غيرت من الواقع العالمي وأدخلته مراحل جديدة ستعكس حتماً على مختلف القطاعات السياسية ، الاقتصادية ، الحضارية والثقافية. ما سهل قبول فكرة ما بعد الإنسان ؛ فالإنسان حسب المفهوم الكلاسيكي قد انتهى.

يمكن الإشارة إلى أن البداية الفعلية للحديث عن فلسفة "ما بعد الإنسان" ظهرت مع إعلان "ميشال فوكو" (موت الإنسان) عام 1970 ؛ إذ أضفى طابعاً رسمياً على الأزمة الأبستمولوجية والأخلاقية التي أدت إلى التذمر من المثل الإنسانية المفروضة ، وما كان موضع مساءلة واستجواب هو مواصلة وضع الإنسان مركز تاريخ العالم ، إلى جانب الافتراض المثالي أن الامتياز البشري المميز هو العقل⁵ ، ولا نقصد هنا الموت البيولوجي للإنسان بقدر ما نعني إزاحته نحو المهملش بعد أن ظل مركزاً فترة طويلة من الزمن ؛ إذ يدعو "فوكو" إلى عد الإنسان شيئاً من أشياء الوجود وليس ذاتاً متعالية تحرك الوجود كما كان متعارفاً عليه منذ القرن السادس عشر ، تحديداً فلسفة "ديكارت" ومن بعده ، فكانت هذه أولى العتبات التي حاولت نقلنا من مفهوم الإنسان إلى ما بعد الإنسان.

على هذا الأساس نقول ؛ مفهوم "ما بعد الإنسان" في حقيقته أضحى أفكارا عديدة في آن واحد ، كثيرا ما تكون غير واضحة ، ولكنها كلها ذات طبيعة مضادة للإنسانية. هي فكرة أن الإنسان قد عفا عليه الزمن وصار من الماضي باعتباره كائنا حيا وبوصفه كائنا حيا على السواء ، وهو مدعو لأن تحل محله آلات... فكرة ما بعد الإنسان هي الانفتاح على الصدفة والحرية ، ومنظور للهويات المتنقلة والمتجددة ، ورؤية لعبية متحررة من ثبات الذات المهمة⁶. بالتالي كانت الآلة البديل الأنسب لاستيعاب الواقع التكنولوجي ؛ ومع هذا لا نغني غض النظر عن الإنسان نهائيا إنما الجوهر في هذا المشروع نفي فكرة مركزية الإنسان نسقا مهيمنا على الوجود وعده مجرد عنصر من عناصره ، وهو ما نراه الوقت الراهن مع تنامي الأصوات التي تستهدف تجاوز الحدود الطبيعية التي تحكم الإنسان ، بتجاوز قدراته البيولوجية والعقلية ، بواسطة التكنولوجيا المتقدمة ، خاصة فيحقل الذكاء الاصطناعي ، إلى جانب إيجاد المبررات الداعمة لهذا التجاوز وتشريعه عقليا وأخلاقيا والتأهيل المسبق لقبوله عبر مختلف الوسائط الاجتماعية والثقافية والحضارية. كما نشير إلى رأي آخر قد ينزوي كذلك تحت مظلة " ما بعد الإنسان" يفيد إلى عدها حركة واعدة تعمل على تحسين وكذا تغيير الوضع البشري عن طريق تخطي الحدود البيولوجية – الفيزيائية والعقلية لدى الجنس البشري ، في الحالتين نحن أمام إمكانية فرض شروط مختلفة من شأنها تغيير مصير الإنسان مفهوما ، ووجوديا. فإذا بثنائية الإنسان/ الآلة نسقا يفرض واقعه على جميع القطاعات الحياتية نذكر منها القطاع الأدبي على سبيل التحديد ، هي أضحت حتمية لا بد وطرح وجودها.

3. تيمة الآلة في الأدب العربي:

من المتعارف عليه أن الأدب بالمفهوم العربي «هو الأخذ من كل شيء بطرف»⁷ ما يجلبنا إلى كونه انعكاسا للواقع فهو شئنا أم أبينا يحاول تصوير الحياة الإنسانية بأشكالها المختلفة ومع الثورات التي شهدتها المجتمع العالمي بداية بالثورة الزراعية ، مروراً بالصناعية ، وصولاً إلى التكنولوجيا ، وأخيرا نقف عند أعتاب الثورة المعلوماتية ، أصبحنا نلحظ ميلاد واقع جديد مغاير اليد العليا فيه لما يعرف بتكنولوجيا "الذكاء الاصطناعي" ؛ هذا الأخير أنتج لنا تقنيات وبرمجيات بالغة التطور تحت مسمى " الآلة" التي تعني في شكلها العام حسب ما قال به الباحث الفرنسي في مجال علم الإنسانيات الرقمية " فريديريك كابلن": «جهازا صنع بغرض تلبية أهداف معينة، وقد يقوم شخص بإدارة الآلة، أو قد تعمل من تلقاء نفسها، وقد تحتاج لتشغيلها إلى مصدر للطاقة أو وقود أو كهرباء أو جر من جانب حيوانات أو

طاقة بشرية»⁸ وهذا المفهوم العام يحيلنا بالفعل إلى مقدار تنوع هذه الآلات واختلافها فهي لا تقف عند ذات الخط منها ما يديره الإنسان نفسه، منها من تتحكم مختلف الطاقات في تشغيله، ومنها من يعمل من تلقاء نفسه هدفا مرجوا يطمح الجميع لتحقيقه، فالغاية الأسمى من وجود الآلة هي قدرتها على الاستقلال عن البشر، بالتالي نقول أن المفصل بين جميع هذه الأنواع هو مدى تطور برمجياتها لتحقيق الاستقلالية؛ هذا الطموح تحديدا هو ما شكل الإشكالية الآن ولسنوات قادمة: هل نتجه نحو عالم من الآلات لا مكان فيه للإنسان؟ القول بهذا الطرح خلق حالة جدال لا متناهي بين من يرى نهاية الإنسان وبداية المشروع الآلي – دعنا نقول الإنسان الآلي- بديلا عنه، ومن يقول باستحالة تحقيق هذه المقولة؛ إنما هي مجرد فرضية من الصعب تأكيدها، بين هذا وذاك نعلن سيطرة هاجس الآلة على الفكر العالمي ما خلق صراعا وصداما بينهما تحت مسمى ثنائية "الإنسان والآلة" وليست السينما العالمية مثلا سوى انعكاس لهذا التوجه مع سلسلة من الأفلام التي تكرر مبدأ القوة والسلطة والرغبة في تسيد الكوكب، وفكرة أن البقاء للأقوى باتت واضحة؛ هاهي آلات تنقلب على صانعها، وإنسان نصف آلي، وعالم تحكمه الآلة... وهي فرضيات موجودة في عينات مثل الفيلم الفرنسي (حشرة كبيرة) الصادر سنة 2022؛ حول خضوع عائلة بالكامل لسيطرة آيين أغلقوا البيت ومنعواهم الخروج، أو الفيلم الألماني (أنا إنسانك) سنة 2021 الذي تطلب فيه عالمة آثار من إحدى الشركات أن تصمم لها آليا وسيماً مثقفاً يحب الشعر ويلبي كل احتياجاتها لأجل تحقيق السعادة التي تريدها، وقبل هذا بكثير ظهر الفيلم الأمريكي (الشرطي الآلي) الذي يتحدث عن حياة شرطي نصفه بشري والنصف الآخر آلي سنة 1978، وأيضا فيلم يحمل عنوان (الذكاء الاصطناعي) سنة 2001 حمل أبعادا جديدة مغايرة عن المشاعر التي تنشأ بين الآلة والإنسان من خلال قصة تنبي عائلة طفلا آليا بديلا عن ابنها المريض. قبل أن تنتشر الثنائية في مجالات شتى المجال الإعلامي من خلال "صحافة الروبوتات"، في المجال الطبي (الروبوت الجراحي، الروبوت الحيوي...)، التعلم بواسطة الذكاء الاصطناعي، الروبوت في المجال العسكري... وكلها مصممة لضمان راحة الإنسان وتوفير الجهد والوقت إلى جانب حمايته من الأخطار في المقام الأول قبل أن تنقلب الآلة فتصبح سلبياته أكثر من إيجابياته مع ترسخ نظرة يسودها التشاؤم للواقع الآلي تقرر بمبدأ الصراع والرغبة في البقاء.

والأدب على اعتبار أنه أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان وأفكاره وخواطره وهو جسد بأرقى الأساليب الكتابية لم يحذ عن القاعدة فانهمك الأدباء في

تصوير نسق الآلة في أعمالهم لا سيما مع ظهور أقلام تأكد قدرة الآلة الذكية على إبداع رواية أو شعر ونأخذ مثالا على هذا الروائية اليابانية " ري كودان " الحائزة على جائزة "أكوتاغاوا"- أرقى جائزة أدبية في اليابان- عن روايتها (برج الرحمة في طوكيو) التي اعتبرت رواية متكاملة يصعب معها العثور على أي خلل فيها حسب التوجه النقدي الياباني أن برنامج الذكاء الاصطناعي التوليدي " تشات جي بي تي" تولّى كتابة بعض فقرات روايتها ذات المناخ المستقبلي، معتبرة أنه ساعدها في إظهار قدراتها في مجال التأليف، ما سمح ببداية الحديث عن دور الآلة في تطوير الأدب العالمي وفتح آفاق جديدة أمامه.

لكن هذا ليس موضوعنا؛ بعيدا عن المعضلة الواقعة في الوقت الراهن حول إمكانية اعتبار الرواية التي يألّفها الذكاء الاصطناعي بمختلف أشكاله أعمالا أدبية تستحق المنافسة على الجوائز الأدبية المرموقة هذا إن أسلمنا أن كاتبها هو " الآلة" على اعتبار أن الإنسان هو المتحكم الفعلي فيها فقد ثبت علميا انعدام خاصية التخيل بها، هذه الأخيرة ركنا أساسيا من أركان العملية الإبداعية. فقد ظهرت أعمال - روائية خاصة- تحيلنا إلى واقع الثورة التكنولوجية والمعلوماتية العالمية تحت مسمى " أدب الخيال العلمي"، وكذا " أدب الروبوتات" إذ بدأت الأفكار الحديثة عن الروبوتات كائنات بشرية يمكن برمجتها لإكمال مهام معينة واتخاذ خيارات بشكل مستقل تظهر بانتظام في مختلف أصناف الأدب منذ القرن التاسع عشر بداية في شكل تمثيلات ميكانيكية للبشر أو مخلوقات من صنع العلماء قبل أنت تصل لشكل الروبوت الإنساني المتعارف عليه في الوقت الراهن، وأول ظهور كان في الأدب الموجه للطفل مع قصة (الساحر أوز) من تأليف " ليهان فرانك" سنة 1907 مع شخصية رجل الصفيح، التي عدت الحجر الأساس لميلاد " الآلة" أدبيا؛ فهو روبوت ميكانيكي يشبه الإنسان يبحث عن الساحر أوز قصد الحصول على قلب ليشعر بالحب. وهذا مشابه إلى حد كبير لما نعيشه الآن؛ تطوير إنسان آلي يحاكي العواطف والمشاعر الإنسانية.

ويعد الكاتب الأمريكي من أصول روسية إسحق عظيموف (Isaac Asimov)

المتخصص في الكيمياء الحيوية أبرز المهتمين بالآلة في الأدب الغربي إذ كانت شخصية رئيسية في جل أعماله؛ تلك منها التي وردت تحت مسمى " أدب الخيال العلمي" وهو الذي كتب في عام 1950 رواية خيالية بعنوان (التملص) تحولت لاحقاً إلى فيلم يحمل اسم (I, robot) تتناول العلاقة المتوترة بين الآلات والروبوتات الذكية، ليعمل على نشر سلسلة روائية بعنوان (الأساس) فازت عام 1966 بجائزة هوجو لأفضل سلسلة خيال علمي لكل الأوقات،

وتتحدث عن النتائج المأساوية التي تطل الأرض نتيجة انهيار إمبراطورية كانت تحكم الكواكب الحية في مجرة درب التبانة وتضم أربع روايات (كهوف الصلب The Caves of Steel عام 1954- الشمس المكشوفة The Naked Sun عام 1957 - روبوتات الفجر Robots of Dawn - الروبوتات والإمبراطورية Robots and Empire) وله سلسلة أخرى تحمل اسم (أليجاه بالاي) تتكوّن من أربع روايات تروي مغامرات مفتش الشرطة "أليجاه بالاي" في حلّ الجرائم رفقة شريكه الروبوت "آر. دانييل أوليفاو". إلى جانب كثير من المجموعات القصصية نذكر منها: (أحلام روبوت، رؤى روبوت، بقايا الروبوتات، الروبوت الكامل...). على هذا الأساس يعد أول من ابتكر فكرة الروبوت، وكذا أول من أطلق عليه هذا الاسم في روايته (الكاذب) ولفرط اهتمامه به قدم في رواية له تحمل عنوان (التملص) سنة 1942 ما يعرف بقوانين الروبوت الثلاثة التي نذكرها كالآتي:

1. يجب على الآلي إطاعة أوامر البشر إلا إذا تعارضت مع المبدأ الأول.
2. يجب على الآلي المحافظة على بقاءه طالما لا يتعارض ذلك مع المبدأين الأول والثاني.
3. لا يجوز لآلي إيذاء بشري أو السكوت عما قد يسبب أذى له.
0. ولاحقا أضاف القانون صفر إلى القوانين الثلاث سالفه الذكر هو: لاينبغي لأيربوت أن يؤذي الإنسانية، أو أنيسمح للإنسانية بإيذاء نفسها بعدما لقيام بأيردفعل.

9

وهذه القوانين وضعت كي يلتزم بها الروبوت ولا يجوز أن يخرج عنها من أجل التعايش في وئام مع البشر، وقد عدت هذه الأخيرة قواعد اعتمدها أغلب من جاء بعده وأضحت دستورا يحكم التعامل الإنساني الآلي.

إلى عالم رواية (آلات مثلي) للكاتب الحائز على "البوكر" "إيان ماك إيوان" التي تدور حول احتمال تبادل الحب والمشاعر بين البشر والآليين.

أما عربيا، لا نجد اهتماما كبيرا بهذا اللون الأدبي إنما ظل موضوعا يحكمه الهامش ومع هذا نلمس حضورا لنسق الآلة والروبوتات والذكاء الاصطناعي في بعض الأعمال أغلبها روائية نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر (تميمة العاشقات) للكاتبة "لنا عبد الرحمن" المنشورة سنة 2022 عن الدار المصرية اللبنانية وتدور أحداثها حول هيمنة تيمة

الحرب والحب والفن على حياة بطلات الرواية (الأرا، ميري، آني، رحمة، شمس الصباح، زينة)، إذ تمضي كل منهن في مسارها وارتحالها من مدينة إلى أخرى فتنتقل بذلك الكاتبة بين عصور مختلفة في أسفار زمنية سريعة، من مصر، إلى جبل لبنان، إلى أذربيجان، مروراً بالعراق، ثم أشبيلية وفاس بين الماضي والحاضر والمستقبل. مع تقديم إشارات للزمن المستقبلي بكل ما فيه من مخاوف في علاقة الإنسان مع التكنولوجيا، وما تحمله من مخاطر تقلص من حضور المشاعر الإنسانية لصالح الآلة. وعن ذات الدار صدرت رواية (شفرات القيامة) للمصري "تامر شيخون"، حيث تدور أحداثها في المستقبل عام 2045 حين يصبح الوجود البشري مهدداً تحت السيطرة الآلية.

كذلك نجد (قلب الهلاك الآلي) للكاتبة الجزائرية "ربيعة جلطي" الصادرة عن منشورات الاختلاف مع (مانويلا) البطلة الرئيسية التي كانت جسماً آلياً ركب فيه رحم و قلب، صنعتها شركة مختصة في صناعة الروبوتات، هدفها كتابة كتاب عن الحياة البشرية، إذتركوا لها حرية العيش مع البشر، فاخترت أن تكون من بين سبايا أمير داعش في العراق الذي يسعى إلى تأسيس الدول الإيمانية الكونية انطلاقاً من بغداد، فبرزت في الرواية تيمة الإرهاب والحب والذكاء الاصطناعي. ثم هناك رواية (جلالته الأب الأعظم) للروائي والناقد الجزائري "حبيب مونسي" التي صنعت التفرد بانطلاقها من الأساس الديني الإسلامي لبناء متخيله العلمي؛ إذ أن الرواة العرب كثيراً ما أحالوا تجاربهم الإبداعية في هذا المجال إلى أعمال غربية خاصة الأفلام الهوليودية منها، غير أن كاتبنا هنا كان له رأي آخر حيث أعاد تشكيل قصة النبي موسى مع فرعون وفق ما يتناسب وشخصيات العصر في استشراف لأحداث تقع مستقبلاً عام 2099م، فأصبح موسى الذي تربى في قصر الأب الأعظم مخلص العالم من براثن الثورة التكنولوجية التي أضحت معها الآلة المتحكم في كل صغيرة وكبيرة فضيقت على الإنسان حد تمنيه الموت تاركاً نهاية مفتوحة للمتلقي ليعيد صياغة عالم ما بعد 2099 حسب ما يشتهي.

إلى عوالم رواية (الفطر) للكاتب العماني "محمد العجمي" الصادرة سنة 2023 عن دار عرب للنشر والترجمة الكائن مقرها بلندن، والتي سعت لإعادة تعريف الإنسان في ظل علاقته بالبيئة والتقنية؛ الفطر رواية تندرج تحت صنف الجريمة المشتبكة بالخيال العلمي بطلها المساعد الطبي "الروبوت آدم" الذي يتهم بجريمة قتل سيدة لا تحب الاختلاط مع الناس بسبب حالتها النفسية كان يعمل في شقتها، حيث يأخذ الكاتب القراء في رحلة مذهشة لاستكشاف عوالم هذا الذكاء الاصطناعي الذي بات يفتح على مسارات جديدة للإنسان

ليعيد اكتشاف نفسه عند هذه الحدود القصوى المبهمة للطبيعة البشرية التواقعة دوماً لشيء ما خارجها.

والملاحظ على هذه الأعمال العربية أن كلها حديث الظهور مرتبط بسنوات الألفية الثانية خاصة إذا ما قارناها بالروايات الغربية التي نلمس بها وجوداً للآلة والذكاء الاصطناعي على نحو متفاوت منذ القرن التاسع عشر مع رواية (فرانكشتاين) للكاتبة الإنجليزية "ماري شيلي" عام 1818، وجميعها تهدف إلى الإضاءة على السجل المفتوح بين ما هو بشري وما هو آلي، وإمكانية التعاون بينهما، إلى جانب المخاوف من التحكم والسيطرة إلى درجة تهديد وجود البشر.

4. ثنائية الإنسان والآلة في رواية أمومة لم تكتمل لمصطفى لغتيري :

أمومة لم تكتمل الصادرة عام 2020 في طبعتها الثانية عن منشورات (غاليري الأدب) أبرز ما كتب الروائي المغربي مصطفى لغتيري في مجال الخيال العلمي، حاول من خلالها مسألة قضايا المجتمع العربي، وتعريته بكل أبعاده لاسيما السياسية والثقافية منها. إذ يضم بين دفتيه عشر فصول، هي نص متمرد على الأطر التقليدية للكتابة الروائية العربية المعاصرة؛ حيث إن القارئ/ الباحث للرواية لا يتردد في ملاحظة مدى غرابتها وخروجها عن المألوف والسائد، فقد جسدت المختلف الإبداعي بوصفها أول رواية عربية تعالج قضية تبني طفل آلي في إطار عام يسوده الصدام الحضاري والصراع على تسيد العالم بين كل من الصين والولايات المتحدة الأمريكية باستخدام المجال التكنولوجي الإلكتروني الرقمي سلاحاً بدل الحروب التقليدية فكانت الرواية تعلن ميلاد حرب باردة جديدة لا تلوح ملامح نهايتها في الأفق قريباً خاصة وأن الأحداث السردية تدور في زمن المستقبل على أعتاب القرن الثاني بعد الألفية الثانية تحديداً عام 2098 وإن كان يرجح كفة الصين للتفوق بعد أن شهد بيراعتها في استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي. إذن مزج الكاتب بين عالمين متضادين: عالم الخيال العلمي، والعالم الواقعي في عمل إبداعي واحد.

تدور أحداث رواية (أمومة لم تكتمل) حول قصة شقيقتين "ريم" و"شيماء" وحلم الأمومة لكن بأبعاد عصرية بعيداً عن الإرث البالي الذي لطالما حكم المرأة العربية المغاربية على وجه التحديد، كلتا الشخصيتان ضد فكرة الإنجاب لكن ليس ضد امتلاك أطفال لسد الفراغ العاطفي الحاصل، طفل بيولوجي خاص بهما. أنى للفكرة أن تتحقق لما بها من تناقض واضح؟ الإجابة جاهزة بالاعتماد على تقنيات الذكاء الاصطناعي الصينية المتطورة. فاتجهت الأولى نحو تبني طفل آلي يحاكي ويتفاعل مع العواطف الإنسانية إلى جانب أنه ينمو ويكبر،

والثانية لها رأي آخر من خلال ما يعرف بحمل المختبر. وهذا يحيلنا إلى العنوان كونه العتبة النصية الأولى لفهم العمل الإبداعي فمصطلح أمومة يحيلنا إلى مدلول « القرابة من طرف الأم»¹⁰ بمعنى العلاقة الخاصة التي تربط الأم وطفلها؛ مولدة ذلك الشعور القوي والمحبة العميقة والاهتمام الكامل الذي توليه الأم لرعاية وتربية الأطفال وحمائتهم والعمل على تلبية مختلف احتياجاتهم. لكنها أمومة لم تكتمل فهي ناقصة هنا؛ ليس حسب توجه الشخصيتين الرئيسيتين إنما وفق ما أورده ويورده العرف العربي، فالمجتمع ورغم التطور الذي تشهده عوالم الرواية إلا أنه ظل مسيطرًا من خلال التحكم في مشاعر الأمومة خارج عملية الإنجاب التقليدية وإن كان هذا المفهوم غير مضمن شرطًا من شروط الأمومة نفسها؛ فنحن نلاحظ ازدياد لقصة تبني طفل آلي ببقية الشخص متهمكة مستغربة مرتابة وحتى خائفة وخير مثال على ذلك زوج ريم "رفائيل" الإسباني الجنسية رغم عدم معارضته للفكرة إلا أنه توجس منه في نهاية المطاف مخافة من فكرة التجسس واقتحام خصوصيته عن طريق هذا الطفل. وعينة نورد اندهاش شياء من قرار أختها «ماذا تقولين هل تريدين ابنا أم آلة تصبين. هل أنت حمقاء؟»¹¹ ومن الجهة الأخرى نلاحظ ارتياحا لفكرة حمل المختبر التي تحيلنا إلى الفكرة المنتشرة في وقتنا الراهن "الرحم الاصطناعي" لتقليلها من المخاطر والأعباء المرتبطة بالحمل والولادة لأجل إنجاب طفل ومع هذا سيحدث خلل في مفهوم الأم القانونية مما يؤدي إلى هدم القيم الأسرية التقليدية ما جعل الأمومة هنا ناقصة بدورها. بالتالي نقر أن القراءة المعمقة للرواية تقضي بنا في نهاية المطاف إلى تسجيل جملة من الملاحظات يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- تيمة تبني الطفل الآلي "صامد" الذي يحمل مشاعر إنسانية ويحاكيه حتى في عملية النمو والاستغراب الواقع في نفوس بقية الشخص البشرية من قرار التبني هذا منهم من قبله ومنهم من اعتبر هذا ضربا من الجنون.
- ارتباك الطفل الآلي نفسه من عملية التبني وقصوره عن فهم طبيعة العلاقة- أي علاقة الأمومة- التي أصبحت تربطه بريم، فقد تحول بين ليلة وضحاها من دليل في معرض الروبوتات إلى فرد من أفراد العائلة المكونة من ثلاثة أفراد.
- الهوس بالاكشافات الإلكترونية الصينية المتطورة المتعاقبة يوما بعد يوم في مجال الذكاء الاصطناعي انطلاقا من الجنة الإلكترونية وهي الجزيرة التي يحلم الجميع

بالاستقرار فيها ؛ موطن رفائيل وريم ، إلى الروبوتات بمختلف أنواعها المبرمجة لأهداف نفعية (آلات خدمة منزلية ، آلات سفر وتنقل متطورة ، آلات تواصل وتعارف عجيبة ، آلات طبية كالبنكرياس الاصطناعي والرحم الاصطناعي المشار إليه من وراء فكرة الحمل في المختبر...).

- الرغبة في العودة إلى الحياة الطبيعية من خلال طرح فكرة الجمع بين الزراعة الطبيعية والمواد الكيميائية على شاكلة أقراص ذات ألوان مختلفة تحيل إلى الطعم انتشرت على نحو غير مسبوق باعتبارها الغذاء الرئيسي لشخص الرواية ؛ مع مرور الوقت رغب الجميع في تحويل خدمات الذكاء الاصطناعي لمشروع العودة إلى الأغذية الطبيعية.
- فكرة التجسس والتدخل في الحياة الخاصة عن طريق الآلة.

- الصراع الحضاري بين قطبي التكنولوجيا (الصين ، الو.م.أ) وتأثيره على الواقع العالمي.
- على هذا الأساس سنحاول استنطاق الأنساق المضمرة المشكلة لعوالم رواية (أمومة لم تكتمل) ومدى تجلياتها فيها وبذلك كشف العلاقة بين ثنائية الخيال الإنسان والآلة ومحاولة الوقوف عند مدلولاتها انطلاقاً من العلاقات التي جمعت الآلة بمختلف أشكالها مع الشخص الإنسانية. وهي كالآتي:

1.4. نسق الهوية:

تعتبر الهوية من بين المفاهيم والأفكار التي تناولها الفلاسفة والعلماء والباحثون فكثيراً ما ندعي في بعض الأحيان أننا نحيط بهذا المفهوم من كافة جوانبه ، لكن سرعان ما نكتشف أننا لا نعرف ولا نع أي شيء عنه ، فهو مفهوم ترحالي نلمس له وجوداً في مختلف المعارف ، ونقصد بها حسب التوجه العربي ما قال به " الجرجاني " « الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتغال النواة على الشجرة في الغيب المطلق »¹² أما إذا بحثنا في دلالة الهوية في اللسان الفرنسي ، وفق معجم لالاند ، فإنها تنقسم قسمين غير أنها تحيل إلى ذات الفكرة وهي الميزة الثابتة في الذات ، وهي كالآتي:

- علامة ما هو متماه.

– ميزة فرد ، أو كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بفرد يقال عنه أنه متماه ، أو أنه هو ذاته في مختلف فترات وجوده ، " هوية أنا".¹³

إذن الهوية هي ما يحفظ فردية الإنسان ويجعله متميزا كونها مظهرا من المظاهر المكونة لحياة الإنسان ، وعنصر أساسي لأصلاته ، وقاعدة هامة لأخلاقاته ، لكن الركن الثاني من تعريف "الالاند" يفتح أبواب النقاش حول إمكانية مشاركة الإنسان في مفهوم الهوية من قبل كائن لم يتم تحديده وفق شرطين اثنين أن يكون متمما للفرد أو شبيها له في فترات وجودية معينة. الأمر الذي يحيلنا مباشرة إلى واقع الآلة تحت ما أصبح يطلق عليه " الإنسان الآلي " فمع الثورة المعلوماتية والرقمية التكنولوجية باكتساح الذكاء الاصطناعي عالم الموجودات تنامي الحديث عن الهوية الرقمية وأضحى الإنسان ذاته في مشكلة خلقت أزمة هوية فطرحنا السؤال: هل الإنسان آلة ؟ تبتعتها فرضية أريد إثباتها مفادها « نحن لسنا آلات ، ولكن الآلات قد تساعدنا على التفكير في أنفسنا»¹⁴ لكن التطور العلمي لم يقف عند هذه النقطة بل تعداها لخلق إنسان آلي مشابه للإنسان البشري سالبا هويته منه محاولا تقمص أدواره الإنسانية التي لا يعنى أحد بها غيره والرواية اتجهت للتعبير عن مخاطر هذا الاتجاه بقول الكاتب: « إنه إنسان آلي يتفاعل مع حالات الإنسان المختلفة ، يعرف أنك حزين أو غاضب أو سعيد أو قلقا ، فيتعامل مع حالتك كما هي»¹⁵ فالرواية تشير إلى الرغبة الدفينة لدى الإنسان في خلق ما يماهيه ويحاكيه في إدراكه وحواسه وعواطفه

2.4. نسق الحب والارتباط:

ويشير إلى العلاقة التي تجمع الإنسان بالآلة ، بطبيعة الحال الأول هو مصنع الثاني والمتحكم فيه غير أن هذه العلاقة لا تلبث أن تحمل سمات مختلفة تتغاضى عن فكرة الصانع والمصنوع نحو ارتباط وجداني ذا أساس مبني على عاطفة الحب من خلال عاطفة الأمومة التي شكلت النسق العام الذي تنطلق منه الأحداث وتعود إليه ؛ إلا أنها تباينت بين الاستنكار والتهكم تارة والقبول أحيانا أخرى ، والآلة نفسها واجهت صعوبات في تقبل تبعات هذه العلاقة في قول صامد « أنا سيدتي عاجز عن التفكير في الأمر. هذا أمر بشري خالص ، أنا مجرد آلة .. فقط أصلح للبيع والشراء. وليس للتبني»¹⁶. وهو تأكيد على استحالة كمال هذا الارتباط لأن مجرد التفكير فيه ضرب من الخيال وهو ما أثبتته مجمل شخصيات الرواية التي نعرض موقفها حسب الجدول التالي:

الشخصية	العلاقة	الموقف
---------	---------	--------

ريم	والدة صامد بالتبني	عاطفة الحب والأمومة غلب عليها التأثير والرغبة الجارفة في امتلاك طفل.
رفائيل	والد صامد بالتبني	الاستنكار والتوجس بسيطرة فكرة التجسس على أفكاره.
صامد	الطفل الآلي	الارتباك والقصور عن فهم وتلقي واقع الأمومة الذي وجد فيه ذاته.
شيماء	أخت ريم	التهكم والسخرية مع تقبل العلاقة.
يوسف	زوج شيماء	التهكم والسخرية دون تقبل العلاقة.
نهى	صديقة ريم	الاستغراب مع تبني مبدأ الحرية الشخصية.
المصنع	الخالق	الدھشة والاستغراب من حماقة البشر.

الجدول 1: أمومة لم تكتمل، مصطفى لغتيري، 2020

النتيجة النهائية تشير إلى رفض ضمني لعلاقة الأمومة التي من الممكن أن تجمع الإنسانية الأنثى بالطفل الآلي، فعلاقة التبني إحداث لتغيير دائم في الوضع، وهذا يتطلب اعترافا اجتماعيا سواء من القانون أو الدين أو العرف... وهو ما انتفى هنا، المصنع وقع على وثيقة شراء وليس تبني، العرف لا يتقبل الفكرة.

على النقيض الآخر علاقة الأمومة داخل المختبر لم تحظ بالقدر الكافي من الاهتمام بين ثنايا الرواية إنها اقتصر على واقع ضيق لا يخرج عن حدود الأسرة المصغرة مع سيطرة لفكرة الخوف والتوجس من الناتج الذي ستخلفه تلك البويضة المصنعة؛ فمع التطور التكنولوجي الواضح في معالم الرواية شعرت الأم بأن تلك البويضة التي كانت لها وتحمل من هويتها قد تستحيل طفرة متطورة تنفصل عنها وتعلن كيانها المستقل ولم لا ميلاد مخلوق يشبه كل شيء إلا الإنسان في صفاته وسلوكياته، فقالت شيماء: «طلبت منهم عدم التدخل المغالي في البويضة، ففي رأيي قليلا من الضعف لا بد منه، وهو بالتأكيد يجعل الحياة أفضل.. ثم إننا غير متأكدين بعد من نتيجة هذا التدخل، قد ينتج عنه إنسان غريب عنا، يصعب علينا التعامل معه، أو التحكم فيه، وقد يتمرّد علينا، إذا ما حقق طفرة نوعية، نفصله عنا»¹⁷ إذ نلمس تلك النظرة المتشائمة التي أضحت تحكم إنسان ما بعد الحداثة مردها غالبا إلى هذه النقلة التكنولوجية التي عوض أن تسهل حياة الإنسان جعلته أكثر كسلا وأكثر جشعا لمعرفة عوالم ما بعد الإنسان نفسه. إلى جانب أن البحث عن الكمال هو السبب الرئيس الذي دفع العلماء إلى اختراع الإنسان الآلي وليس ذلك إلا بسبب الضعف الذي يحسه الفرد البشري في

نفسه وكيف أنه عاجزا قاصرا في بعض الحالات ما دفعه نحو التفكير في القوة والآلة مشروع قد يحقق هذا ، على الجانب الآخر اعتقدت شيما أن الضعف أمر طبيعي لا بد ويرافق الإنسان خلال فترات حياته فرفضت فكرة المثالية ، كذلك أفكارها تحيل إلى رغبتها في امتلاك طفل لا يتفوق عليها في سماتها بحيث يتمرد عليها يوما ما. ولنا وقفة مع مواقف الشخصيات إزاء هذا الارتباط كالاتي:

الشخصية	العلاقة	الموقف
شيما	الأم	عاطفة الأمومة ممزوجة مع خوف من مستقبل يهدد فيها الطفل حياتها إذا وقعت أخطاء معينة في العملية.
يوسف	الأب	تقبل الفكرة مع تفضيله إنجاب طفل بطريقة طبيعية.
المختبر	الخالق	اعتبار الفكرة مجرد تجربة علمية يسعى إلى إكمالها بنجاح.
ريم	أخت الأم	التأييد والدعم النفسي والمعنوي.

الجدول 2: أمومة لم تكتمل، مصطفى لغيتري، 2020

على هذا الأساس نقر أن علاقة الارتباط التي تحكم شخصيات الرواية البشرية والآلية تتشكل وفق معيارين اثنين:

1- **البعد الراغماتي:** هو البعد الأكثر حضورا وواقعية ، نلمس وجوده في مختلف المناحي الحياتية للشخوص انطلاقا من البيت مكانا مغلقا ، وصولا إلى الأمكنة المفتوحة (المستشفى ، المختبر ، الجزيرة ، المعرض) من خلال مجال النقل والمواصلات) السلحفاة العجيبة التي هي مركبة من نوع متطور ، القطار السريع الذي يعبر الدول والقارات في لمح البصر) ، ثم هناك روبوتات منزلية تسهر على راحة الإنسان بالقيام بمختلف الأعمال من طبخ وغسيل ... مجال الإعلام كذا أبان عن تطور هائل من خلال تقنيات تواصل تنقل الصوت والصورة بأعلى جودة وأسهل طريقة ، والمجال الطبي نجد أمثلة كالبنكرياس الاصطناعي لمساعدة المرضى... وكل هذه الآلات نفعية تهدف إلى تسهيل حياة البشر وتخدم راحتهم.

2- **البعد النفسي:** ونقصد بها مظهرات العاطفة والوجدان في علاقة الإنسان بالآلة وقد استحوذت علاقة الأمومة التي تجمع " ريم " بابنها " صامد " الآلي على هذا البعد ، فالكاتب بنى روايته على علاقة الترابط التي تجمع بينهما باعتباره الحدث السردى الأبرز الذي تقوم

عليه عملية البناء السردية ، ومن ثم علاقة شيئا بجينيتها في المختبر بدرجة أقل. ونقول أن هذا البعد الأخير هو ما تراههم عليه الأبحاث المعاصرة في مجال الروبوت وذكاء الاصطناعي لأنها تعمل على خلق صلة معينة بين الآلة والبشر ؛ صلة ارتباط عاطفي الأمر الذي انعكس على الأعمال الإبداعية بدورها.

3.4. نسق الصراع:

الصراع بين الإنسان والآلة نسقا دائما الحضور في العلاقة التي تحكم ثنائية الإنسان الآلة ، هو ليس وليد اللحظة إنما ظل يتنامى يوما بعد يوم حتى أضحت هاجسا سيطر على الفكر الإنساني ، حقيقة أن الآلة ستحكم الوجود؛ حقيقة أرخت بظلالها على فكر ما بعد الحداثة المتجه نحو النظرة التشاؤمية طريقة لتفسير الوقائع.

وهذا أساسا منتشر بين ثنائيا الفن الإنساني كافة ، بداية بالأفلام السينمائية التي قل ما ناقشت الصداقة أو دعنا نقول التعايش بين الآلة والبشر لأنها منهكة في تفسير حالة الصدام وتبعات ذلك وكيف أن البقاء للأقوى والأصلح ؛ فالمتبع للشأن السينمائي يجد أن القصة مهما اختلفت يكون محورها تمرد الآلة على صانعها ورغبتها في الحكم لأنها ترى أحقيتها وأهليتها للسيطرة ما دون البشر ، ناهيك عن واقع الذكاء الاصطناعي المتطور في استمرار المغذي للفكرة ، ما رسخ هذا في اللاوعي الإنساني ، انعكس فيما بعد على الأدب فوجدنا تلك الرؤية عائقا أماما إمكانية التعايش.

والكاتب هنا لم يحذ عن هذه القاعدة ؛ فالرواية عكست تلك النظرة عن طريق فكرة التجسس ، الطفل الآلي " صامد" عبارة عن آلة ترصد جميع التحركات التي تلتقطها عيناه ما أوقع والده في مشكلة السجن بعد أن قبضت عليه السلطات تحت تهمة خرق القانون في قول " رفايل": «ابنك الآلة...عقله مرتبط بعقل إلكتروني مركزي، يلقط كل المعلومات التي يصادفها هذا الفتى، بمعنى أنه عبارة عن آلة تسجيل لا تفلت شيئا...إن كلامنا وحركاتنا وكل ما في هذا البيت مما وقعت عليه عيننا صامد أو التقطته أذناه هو مسجل لدى الصينيين»¹⁸ بالتالي هددت الآلة هنا وجود الإنسان وجعلته يحس بضعفه في مواجهاتها وكيف أنها قادرة على مراقبة تحركاته ، والصراع يولد الخوف بطبيعة الحال في قول " رفايل" « الحل هو التخلص من هذه الآلة اللعينة وإلا ستخلص هي منا»¹⁹ ثم إن الشخصيات اتفقت فيما بينها على ضرورة تغيير برمجيات الطفل الآلي بمسح ذاكرته والتوقيع على اتفاقية قانونية تهدف لحماية الخصوصية في إشارة إلى استحالة التعايش بين الطرفين إلا بشروط معينة تكون القاعدة الأعلى فيها امتلاك الإنسان سلطة اتخاذ القرار والتحكم.

على الجهة الأخرى شهدنا تسجيلاً لمخاوف تدخل الذكاء الاصطناعي في الوجود البشري وتأثيره سلباً عليه ، عن طريق حدث الحمل في المختبر فشيءاً أفضت لزوجها بضرورة مراقبة العملية ومنع علماء المختبر من التدخل المبالغ في عملية تكوين الجنين لاعتقادها بأنهم قادرون على تشكيل طفرة بشرية متطورة قد تجعل هذا الطفل مستقلاً تمام الاستقلالية عن والديه أو أن يخرج من جنس البشر حتى ، بذلك يتمرد على عائلته المحتملة الأمر الذي لا تريده.

على هذا الأساس نلاحظ أن الرواية عكست المخاوف البشرية في احتمالية تدمير الوجود الإنساني تحت أيدي آلية ، في المقابل عبرت عن استحالة التعايش السلمي بين العالمين ، فالآلة في نظر الإنسان مجرد خادم ويجب أن تبقى كذلك ، عليه تكون أي رغبة في تطوير هذا المفهوم حول الآلة أو ترقيته مجرد تهديد للبشر لأن الإنسان نفسه غير مستعد للانفتاح على واقع الآلة أو التحاور معها.

5. خاتمة:

أسفرت الدراسة عن جملة من النتائج تمثلها النقاط الآتية:

- يتجه الفكر المعاصر نحو عالم من الآلات لا مكان فيه للإنسان من خلال القول بنهايته مع النظرة التشاؤمية التي أضحت عنواناً لفكر ما بعد الحداثة.
- أعلنت ثنائية الإنسان والآلة عن ميلاد علاقات متداخلة يحكمها الصراع والصدام بعيداً عن الحوارية والتعايش السلمي وهو راجع أساساً للفوقية التي ينظر الإنسان وفقها للواقع ، ما يجعله يرى الآلة بمعيار نفعي لا غير ، وإن كانت الرغبة في خلق ارتباط عاطفي يغذي هذه العلاقة الثنائية هو ما تراهن عليه الأبحاث المعاصرة في مجال الذكاء الاصطناعي وبرمجة الروبوتات.
- الهوية نسقا رئيساً قامت عليه فكرة الثنائية لرغبة الإنسان في تناقض صارخ خلق ما يحاكيه حتى وإن نafs وجوده.

6- الهوامش والإحالات:

¹عبد الله موسى ، أحمد حبيب بلال ، الذكاء الاصطناعي — ثورة في تقنيات العصر ، المجموعة العربية للتدريب والنشر ، ط1 ، القاهرة ، 2019 ، ص 18

- ² ينظر ، المرجع نفسه ، ص 20
 - ³ فريديريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، تر: (علي مصباح) ، منشورات الجمل ، ط1 ، ألمانيا ، 2007 ، ص 40
 - ⁴ فرانسوا جاكوب وآخرون ، الإنسان في مهبط التقنية — من الإنسان إلى ما بعده ، تر: (محمد أسليم) ، مطبعة بلال ، دط ، المدينة المنورة ، 2019 ، ص 55
 - ⁵ روزي بريدوتي ، "نظرية ما بعد الإنسانية النقدية" ، تر: (أمانى أبو رحمة) ، مجلة الثقافة الأجنبية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 2021 ، ص 7
 - ⁶ فرانسوا جاكوب وآخرون ، الإنسان في مهبط التقنية — من الإنسان إلى ما بعده ، ص 238-239
 - ⁷ محمد منذور ، الأدب وفنونه ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط5 ، مصر ، 2006 ، ص 4
 - ⁸ فريديريك كابل ، جورج شابوتين ، الإنسان والحيوان والآلة - إعادة تعريف مستمرة للطبيعة الإنسانية ، تر: (ميشيل نشأت ، شفيق حنا) ، مؤسسة هندواي ، المملكة المتحدة ، 2020 ، ص 10
 - ⁹ عبد الله لعربي ، "هل الروبوتية من العلم العربي؟" ، مجلة بشائر العلوم ، المدرسة العليا للأساتذة/القبة ، ع8 ، أكتوبر (2023) ، ص 2
 - ¹⁰ جورج ألكسندر ويكلن ، الأمومة عند العرب ، تر: (بندلي صليبا الجوزي) ، مؤسسة هندواي ، المملكة المتحدة 2017 ، ص 11
 - ¹¹ مصطفى لغيتري ، أمومة لم تكتمل ، منشورات غاليري الأدب ، ط 2 ، 2020 ، ص 30
 - ¹² محمد الجراني ، معجم التعريفات ، تح: (محمد صديق المنشاوي) ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ص 216
 - ¹³ أندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، م1 ، تر: (خليل أحمد خليل) ، منشورات عويدات ، ط 2 ، بيروت/باريس ، 2001 ، ص 607.
 - ¹⁴ فريديريك كابل ، جورج شابوتين ، 2020 ، الإنسان والحيوان والآلة ، ص 87
 - ¹⁵ مصطفى لغيتري ، أمومة لم تكتمل ، ص 22
 - ¹⁶ المصدر نفسه ، ص 43
 - ¹⁷ المصدر نفسه ، ص 54
 - ¹⁸ المصدر نفسه ، ص 87-88
 - ¹⁹ المصدر نفسه ، ص 89
- 7. قائمة المصادر والمراجع:**
- 1- أندريه لالاند ، 2001 ، موسوعة لالاند الفلسفية ، م1 ، تر: (خليل أحمد خليل) ، منشورات عويدات ، ط 2 ، بيروت/باريس ، 2001.
 - 2- جورج ألكسندر ويكلن ، الأمومة عند العرب ، تر: (بندلي صليبا الجوزي) ، مؤسسة هندواي ، المملكة المتحدة 2017.
 - 3- روزي بريدوتي ، "نظرية ما بعد الإنسانية النقدية" ، تر: (أمانى أبو رحمة) ، مجلة الثقافة الأجنبية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 2021.
 - 4- عبد الله لعربي ، "هل الروبوتية من العلم العربي؟" ، مجلة بشائر العلوم ، المدرسة العليا للأساتذة/القبة ، ع8 ، أكتوبر (2023).

- 5- عبد الله موسى ، أحمد حبيب بلال ، الذكاء الاصطناعي — ثورة في تقنيات العصر ، المجموعة العربية للتدريب والنشر ، ط1 ، القاهرة ، 2019.
- 6- فرانسوا جاكوب وآخرون ، الإنسان في مهبط التقنية — من الإنسان إلى ما بعده ، تر: (محمد أسليم) ، مطبعة بلال ، دط ، المدينة المنورة ، 2019.
- 7- فريديرك كابلن ، جورج شابوتين ، الإنسان والحيوان والآلة- إعادة تعريف مستمرة للطبيعة الإنسانية ، تر: (ميشيل نشأت ، شفيق حنا) ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2020.
- 8- فريديريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، تر: (علي مصباح) ، منشورات الجبل ، ط1 ، ألانيا ، 2007.
- 9- محمد الجرجاني ، معجم التعريفات ، تح: (محمد صديق المنشاوي) ، دار الفضيلة ، القاهرة.
- 10- محمد منذور ، الأدب وفنونه ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط5 ، مصر ، 2006.
- 11- مصطفى لغيتري ، أمومة لم تكتمل ، منشورات غاليري الأدب ، ط 2020 ، 2.